جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم التاريخ

دكتوراه / اسلامي

المادة

انتشار الاسلام

عنوان المحاضرة

مملكة سنغاي

استاذ المادة

أ.د. خالد محمود عبدالله

مملكة سنغاي

أصل التسمية و الموقع الجغرافي:

١- التسمية:

وردت كلمة سنغاي بسين مضمومة بعدها حرف مركب من النون وغين مخففين، و في المصادر والمراجع بعدة ألفاظ [١] فقد وردت في كتاب محمود كعت بلفظ سنغي ، ووردت في المراجع بالأسماء التالية: صنغاي، سونغهاي، الصنغي .

٢- الموقع الجغرافي :

قامت إمبراطورية سنغاي على ضفتي نهر النيجر في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي وحلت محل إمبراطورية مالي في جزء مهم من أراضيها، وتمتد هذه المملكة على ضفتي نهر النيجر إلى الشمال من الداهومي عند مدينة دندي إلى جنوب فولتا العليا و شمال نيجيريا، وامتدت حدود هذه المملكة حتى شملت المسافة الواقعة على منحنى النيجر وجاورهم الطوارق، من الشمال و جاورتهم من الغرب والجنوب جماعات شتى من أهل السودان أهمها الماندنيغ مؤسسين مالي، كما امتدت بلادهم شرقا حتى اتصلت ببرنو و كانم وتشاد.

٣-اصلهم: أما عن أصلهم فهناك روايات عديدة في نسبهم في مخطوط "زهور البساتين " ومن هذه الروايات أن أصل سنغاي من اليمن وأبوهم ملك من ملوك اليمن ربما يقصد بذلك ملوك الحبشة لأن سودان الحبشة كانوا ملوك اليمن في ذلك الوقت، كما أورد صاحب المخطوط أن أباهم ملك من ملوك اليمن وذكر اسمه دليل على دقة المعلومات، وأن هؤلاء كانوا في اليمن أيضا من أرفع الطبقات الاجتماعية وهذا يضفي عليهم شرعية أكثر[١] .

أما رواية "الحسن الوزان" فيقول: "أن سنغاي هي قبيلة كانت تسكن النيجر حول حدود الغابات الاستوائية ثم اتجهة إلى الشمال وأسست حوالي القرن الأول الهجري دولة وهم أناس في غاية السواد والخسة ومن الروايات الأقرب إلى الصواب ما جاء عن صاحب مخطوط "فتح الحنان المنان "عن أصل سكان سنغاي حيث يقول أنهم ينتسبون إلى قبيلة سنغاي التي كانت تقطن على ضفاف نهر النيجر الأوسط في الفترة ما بين القرن الاول الهجري / السابع والقرن الى الثالث/ التاسع الميلادي حيث غزت قبيلة ضياء ويؤكد صاحب المخطوط قائلا: وإذا ألقينا نظرة

عامة على المجموعات التي تتألف منها المنطقة في القرن الأول الهجري لوجدنا مجموعات التكولور، السيرو الولوف الذين يقطنون على ضفاف السنغال في حوضه الأدنى ويمتهنون صيد الأسماك والزراعة.

٤- مراحل نشأة وتطور مملكة سنغاي :

تشكل مملكة سنغاي المرتبة الثالثة من حيث كبر التنظيم السياسي الذي عرفته المنطقة إلى حدود القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي ؛ حيث كانت في بداية أمرها مملكة صغيرة تابعة لحكم ممـــــلكة مالي ، قبل أن تستقل عنها على يد أحد زعمائها المدعو (سني علي) وقد اطلق على نفسة لقب "السني" تشبها بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم والذي يعرف في بعض المصادر التاريخية باسم (سني بير) وهو المؤسس الحقيقي لمملكة سنغاي خلف والده سني مـــادوجر الذي كان عسكري مقتدر والذي اورثة خبرات واسعة في هذا المجال، ووصلت سنغاي في عهده الى دولة مترامية الاطراف.

كان يغلب على سني علي طابع البداوة، ولم يعرف الاستقرار، بل كان دائما غازيا متنقلا بجيوشة من معركة الى اخرى ، كان همه ان لا ينازعة احد في السلطة وان لا يكون ثمة ولاء لشخص اخر لذلك خشي من علماء تنبكت و طوارق مسوفة، ان يهددوا نفوذه باسم الدين ، الامر الذي جعله يعاديهم ويتعرض لهم توفي سني علي في ظروف غامضة عام (٨٩٨هـ / ١٤٩٢م) اثناء عودته من حملته ضد بلاد كرم

بقي في الحكم حوالي سبعة وعشرين سنة وبعد وفاته خلفة ابنه سني بار، الذي لم يتجاوز السنة وسرعان ما قام علية احد القواد العسكريين الكبار واستحوذ على الحكم ولقب (اسكيا) وتعني السلطان وهو محمد توري الذي أعلن عن تأسيس أسرة جديدة عُرفت بأسرة أسكيا، ودام عهدها قرابة قرن من الزمن ، شهدت خلالها مملكة سنغاي فترة من الرخاء والازدهار قل نظيرهما، غير أنه مباشرة بعد وفاة السلطان أسكيا داوود ، عام ٩٩٠هـ / ١٥٨٢م، دخلت البلاد في مرحلة اتسمت بالضعف والوهن الى ان سقطت على يد الحملة السعدية عام ٩٩٩هـ / ١٥٩١م.

٥- اهم الوسائل التي ساعدت على انتشار الاسلام في مملكة سنغاي .

لقد انتشر الإسلام في مملكة سنغاي بشهادة كثير من مصادرنا التاريخية ، بفضل ثلاث وسائل رئيسية، وهي:

-الدعاة المسلمون .

- القوافل التجارية.

- العرب المنتمون لشمال أفريقيا ومصر.

غير أن العامل الأهم والذي ساعد في انتشار الإسلام في تلك المنطقة يعود إلى الدين الإسلامي نفسه؛ فهو ذو نظام اجتماعي راق يدعو إلى المساواة بين الناس، لا يُقيم وزنا الفوارق اللون أو الطبقة، وإنما ينظر إلى ما يفعله العبد من أعمال صالحة، لذلك فإن الدين الإسلامي كثيرًا ما يوصف بأنه أكثر الأديان عدلاً.

ومنذ اكتمال مراحل التعريب وسيادة الدين الإسلامي في مناطق المغرب العربي في (القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي) ، بدأت القبائل العربية تتوغل نحو الجنوب حتى وصلت إلى السودان الغربي[٢]، ولم تقف الصحراء عائقا دون تواصل الروابط والصلات المتعددة، فقد كانت طرق ما وراء الصحراء ومسالكها ومنافذها من العوامل المهمة التي ساعدت في تدفق المؤثرات العربية الإسلامية إلى مملكة سنغاي.

وبدأت رقعة الإسلام في حالة انتشار مستمر حتى شبهها بعض المؤرخين ، كبقعة الزيت، ولا سيما بعد سقوط غانة الوثنية عام ٤٩٦ هـ / ١٠٧٦م على أيدي المرابطين ونجم عن هذا المد القادم من الشمال قيام ممالك إفريقية إسلامية بلغت تقدما حضاريا ملحوظًا نتيجة اعتناقها الإسلام. ومثلما كانت طرق القوافل التجارية شريانا للمعاملات الاقتصادية بين مراكز الشمال الإفريقي وبين الغرب الإفريقي، فقد ظلت - في الوقت نفسه - إشعاعًا للمؤثرات الحضارية؛ حيث أصبحت المحطات المنتشرة على طول طرق القوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى أماكن لاحتكاك الأفكار تأثيرًا وتأثرًا ، وذلك بفضل ما تقدمه للمسافرين من مأوى وسبل الراحة والاستجمام. كما ازدهرت المراكز التجارية المهمة في مملكة سنغاي من الناحيتين الاقتصادية والحضارية واشهرها كاو وجني، وتنبكت

وقد كان التاجر المسلم داعية لدينه يجمع بين نشر الدعوة الإسلامية وبيع سلعته، فالتجارة من طبيعتها أن تصل التاجر بصلة وثيقة بمن يتعامل معهم، خاصة وأنه كان يتحلى بالصدق والأمانة والخلق الحسن، وهذه المثل الأخلاقية السامية كثيرًا ما تتوافر لدى التاجر المسلم الذي سرعان ما يلفت إليه الأنظار عند دخوله لقرية وثنية وذلك نظرًا لكثرة وضوئه، ونظافته، وانتظام أوقات صلاته وعبادته. وقد جعلته هذه الصفات الحميدة بالإضافة إلى نظافة البدن والملبس أهلاً لثقة الأهالي الوثنيين، وقدوة حسنة للاقتداء به وتقليده. ومن الجدير بالذكر أن دور التجار العرب لم يقتصر على مجالات التجارة والأنشطة الاقتصادية فحسب، بل تعداها إلى الدعوة إلى الدين الإسلامي، وتعميق الصلات الحضارية بنشر اللغة العربية، وبناء المساجد والمدارس لتعليم القرآن وهكذا ، أضحى التجار العرب يقومون بمهمة الدعاة المسلمين، إلى جانب نشاطهم التجاري فحملوا معهم العقيدة الإسلامية والحضارة العربية. وكان من نتائج احتكاكهم واختلاطهم بأفارقة أن حدث التزاو والمصاهرة، وانتشار الإسلام تدريجيا وسلميًّا في تلك البقاع. فالدعاة سواء أكانوا من العرب أم من الوطنيين الأفارقة كانوا وسيلة من وسائل نشر الاسلام وقد كانوا يدعون الناس إلى الإسلام، ويفقهونهم في أمور دينهم، وذلك لإلمامهم بأصول الدين والشريعة الإسلامية ومبادئها السامية. لذا حظي هؤلاء الدعاة بتقدير الأهالي لهم، إذ أصبحت كثير من قرى سنغاي في أيام الأسكيا الحاج محمد تضم كل منها دارًا لاستقبال هؤلاء المعلمين الفقهاء الذين كانوا يعاملون بأعظم مظاهر الاحترام ويلاحظ أن معظم أولئك المعلمين قد درسوا في المراكز الحضارية في الشمال الإفريقي ومصر، وتأهلوا للدعوة الإسلامية بين الأهالي والتأثير فيهم. وتطالعنا المصادر التاريخية بأن السلطان الأسكيا الحاج محمد كان حريصا على الاقتداء بالدعاة المسلمين، وعلى إرسال طلاب العلم إلى تلك المنارات العربية الإسلامية في الشمال الإفريقي – مثل فاس والقاهرة وطرابلس – لينهلوا من منابعها

ويعودوا إلى أوطانهم ليساهموا بشكل أو بآخر في نشر الإسلام بين ربوعها. وقد وجد الدعاة تشجيعًا كبيرًا من الأسكيا ومن جهاته الرسمية، وفي ظل هذا التشجيع بدأ الدعاة والفقهاء والمحسنون في تأسيس المدارس التي كانت قبلة لأبناء المسلمين والوثنيين على حد سواء دون تمييز، الأمر الذي أدى إلى انتشار الإسلام والحضارة العربية الإسلامية بنجاح باهر بين أهالي سنغاي. وأصبحت هذه المدارس تتكاثر وتزدهر حتى إن بعضها أضحى مركز إشعاع حضاري يستقطب أبناء مملكة سنغاي بصفة خاصة، وأبناء أفريقيا الغربية بصفة عامة ، دون اعتبار لفارق الدين أواللون .